

التصوف و صلاح القلب

العدد ٥٩ **التصوف وصلاح القلب** **الترجمة ١٢**

المجاهد أبو القاسم القشيري

ان التكليف الشرعي التي امرنا الله بها ترجع الى قسمين قسم يتعلق بالاصال البدنية والقسم الاخر يتعلق بالاصال القلبية فالاصال البدنية اوامر كإحصاء الصوم والزكاة والحج..... وغيرها ونوام كقتل الزنا والسرقة..... وغيرها. اما الاصال القلبية فوامر كالإيمان بالله وملائكته ورسله والاحلاص والرضا واليقين والصدق والخشوع والمحبة والتوكل، ونوام كالترك والحقد والتكبر والعجب والرياء والغرور والحسد.... وغيرها

ان الاصال القلبية عند الشرع اهم من الاصال البدنية وما الاصال البدنية الا دليل على الاصال القلبية لان الباطن ليس الظاهر ففي هدا القلب اخلاص بالاصال القلبية ولهذا كان رسول الله ﷺ يوجه اهتمام صحابته الكرام ﷺ لاصلاح قلوبهم مبيها لهم ان صلاح الانسان مرهون بصلاح القلب وهو الذي يقول ((الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب)). «ورد البخاري» كما كان يعلمهم ان محل نظر الله الى عباده انما هو القلب ((ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم)). «ورد مسلم»

فما دام صلاح الانسان مربوطا بصلاح قلبه تعين عليه العمل على اصلاح قلبه بتخليته من الصفات المنحومة التي نهانا الله عنها وتخليته بالصفات الحميدة التي امرنا الله بها وعيننا تكون القلب صحيحا سليما ويكون صلاحه من التلحين الفزين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)

فتخليته القلب وتخليته من اهم القرائن العينية بنليل ما ورد في الكتاب والسنة والقران الطمأنينة:

فمن الكتاب قوله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ حَرَمٍ رُبِيَ لِلنَّاسِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ). «سورة الزمر» وقوله: (إِنَّ أَوَّلَ حَرَمٍ رُبِيَ لِلنَّاسِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ). «سورة الزمر»

ومن السنة كل الاحاديث التي وردت في النهي عن الحقد والحسد والكبر والرياء وفي الامر بالتخلي بالاخلاق الحسنة والمعملة الطيبة والحديث الشريف ((الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلىها قول لا اله الا الله وانها امانة الاثنى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)). «ورد البخاري» فكمال الإيمان يكمل هذه الشعب وزيادته بزيادة هذه الصفات ونقصه بنقصها وان الامر لمن البطانة كافية لاجلها عمل الانسان الحسنة ولو كانت كثيرة.

اما اقوال العلماء فكثيرة منها قول صاحب جوهرة التوحيد:

وامر يعرف واجتنب نعمة.... وغيبة وخسلة نعمة كالعجب والكبر واداء الحسد.... وكلماء والجل فاعتمد ان التصوف هو الذي اهتم بهذا الجانب القلبي بالاضافة الى ما يقبله من العبادات البدنية ورسم الطريق العملي الذي يوصل المسلم الى اعلى درجات الكمال الالهي وليس فقط قراءة اورد اذعية وحلقات ذكر، ان التصوف هو المنهج العملي الكامل الذي يحقق للانسان الانقلاب من الشخصية المنحرفة الى الشخصية المسلمة المتكاملة وذلك من الناحية الالمانية السليمة والعبادة الخاصة والمعملة الصحيحة الحسنة والاخلاق الفاضلة.

ولهذا نرى العلماء العاملين والمرشدين الصوفيين ينصحون الناس بالتخول مع الصوفية والتزام صحبتهم كي يجمعوا بين جسم الاسلام وروحه ويتكفروا بمعنى الصفاء القلبي والسمو الخلقى ويتحفظوا بالعرف على الله تعالى المعرفة الحقيقية فيخطوا بحبه ومرقبته وديام تكرهه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.